وقفات مع سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أيها المؤمنون إن الصحوة الإسلامية المباركة وهذا المد الإسلامي العظيم الذي أضحى منتشراً في أرجاء المعمورة كلها لهو بشير وإرهاص حق لعلو كعب الإسلام وعودة المسلمين إلى ما كانوا عليه من مجد تليد يوم سادوا الدنيا يوم أن كانوا رعاة للأمم طبقوا دين الله جل وعلا فمكن الله تبارك وتعالى لهم في الأرض وأقام لهم هذا الدين الذي سادوا به الخلائق أجمعين ولا ريب أن الدروس العلمية والمحاضرات الدينية تجلو بها البصائر وتنار بها القلوب ويستقيم بها وضع المسلمين لأنها تجعل المؤمنين على بصيرة في أمور دينهم وأمور دنياهم وأنى لهم أن يسودوا الأمم وهم في دركات الجهل ولذلك جعل الله تبارك وتعالى العلماء شاهدا على أعظم مشهود ألا وهو توحيده تبارك وتعالى: **(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18))** ولقد كان سبقت منة الله وفضله وهو ذو الفضل العظيم أن من علينا بمحاضرة عنون لها آنذاك بوقفات مع سورة الكهف فلما رأينا أن الحق تباركت أسماؤه وجل ثناؤه على رغم ما نحمله من تقصير عظيم نفع بتلك المحاضرة أقواما وأرشد بها آخرين استعناه تباركت أسماؤه وجل ثناؤه في دروس علمية يكون منطلقها كتاب الله المبين وتكون وقفات مع سور هذا الكتاب المبين الذي هو البوابة العظمى لخيري الدنيا والآخرة كيف والله جل وعلا حذر العباد من التفريط فيه حتى لا يعضوا يوم القيامة أصابع الندم على ما اقترفته أيديهم من عدم استرشادهم بهذا الكتاب المبين **(وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ**

هُـدًى وَرَحْمَـةً لِّقَـوْمٍ يُؤْمِنُـونَ (52) هَـلْ يَنظُـرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْـفَعُواْ لَنَا أَوْ نُـرَدُّ فَنَعْمَـلَ غَيْـرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَـلُ قَـدْ خَسِـرُواْ أَنفُسَـهُمْ وَضَـلَّ عَنْهُم مَّا كَـانُواْ يَفْتَـرُونَ (53)) أيها المؤمنون وهذا الدرس الأسبوعي بإذن الله نستفتحه هذا اليـوم بعنوان ما علمتمـوه وقفـات مع سـورة هـود والوقفـات كما بينا في وقفتنا الأولى مع سـورة الكهف ليست ضـربا من التفسـير المحض ولكنها وقفات عقدية ودعوية ولغوية وإلى غير ذلك من الوقفات التي تُستلهم من كتاب الله الكـريم وقد تكـون الوقفة مع مقطع من آية وقد تكون مع آيـات متتابعة وقد تكـون مع آية بأكملها.

فأما الوقفة الأولى هـذا اليـوم في سـورة هـود فمع قول الحق تباركت أسماؤه: (وَكَانَ عَرْشُـهُ عَلَى الْمَـاء (7))

العـرش أيها المؤمنـون سـقف المخلوقـات وهو أعظمها على الإطلاق والله جل وعلا كـان عرشه على المـاء قبل أن يخلق الخلائق كما في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر بن العاص قال: **(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول: إن الله قدَّر مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السـماوات والأرض بخمسـين ألف سـنة وكـان عرشه على المـاء)** ثم لما خلق تبـارك وتعـالى السـماوات والأرض وقدَّر فيها أقواتها وبارك فيها استوى تبارك وتعـالى على عرشه قـال جل ذكـره: **(الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَـرْشِ اسْـتَوَى (5))** واستواؤه تبارك وتعالى على عرشه استواء معلـوم لكن كيفيته بالنسبة لنا مجهولة فالله تبـارك وتعـالى ليس كمثله شـيء وهو السـميع البصـير لكنه وهو الحي القيـوم أخـبر أنه اسـتوى على عرشه فهو قطعا مستو على عرشه بـائن عن خلقه وهو تبـارك وتعـالى مع ذلك مسـتغن عن العـرش ومسـتغن عن الخلائق أجمعين وجميع الخلائق فقيرة إليه تبارك وتعـالى وهـذا العـرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ولما كان العـرش بهـذه العظمة

كـان لابد أن يكـون الملائكة الـذين يحملونه ملائكة عظـام في الخلقة قال صـلى الله عليه وسـلم: (أُذن لي أن أحدث عن أحد حملة العـرش قـدماه في الأرض السـفلى وعلى قرنه العـرش ما بين شـحمة أذنه إلى عاتقه مسـيرة سـبعمائة عـام يقـول سـبحانك حيث كنت) وهـذا هو العـرش وقد ورد ذكـره في القـرآن كثـيرا ولقد تـأملت الكتـاب المبين فوجدت الله جل وعلا إذا أراد أن يثـني على نفسه أخـبر أنه تبـارك وتعـالى رب لهـذا العـرش قـال جل ذكـره: (وَهُـوَ الْغَفُـورُ الْـوَدُودُ (14) ذُو الْعَـرْشِ الْمَجِيـدُ (15)) وقـال تبـارك وتعـالى: (أَفَأَصْـفَاكُمْ رَبُّكُم بِـالْبَنِينَ وَاتَّخَـذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَـوْلاً عَظِيمـاً (40) وَلَقَـدْ صَـرَّفْنَا فِي هَــذَا الْقُـرْآنِ لِيَـذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيــدُهُمْ إِلاَّ نُفُـوراً (41) قُل لَّوْ كَـانَ مَعَـهُ آلِهَـةٌ كَمَا يَقُولُـونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (42)) فسبحان من وسعت رحمته الخلائق وسـبحان من اسـتوى على عرشه وجـاء في السـنة ذكر قـوائم العـرش كما في الصـحيحين من حـديث أبي سعيد الخـدري رضي الله تعـالى عنه قـال: (سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فـأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العـرش فلا أدري أفاق قبلي أم جـوزي بصـعقة الطـور) فهـذا دليل على ذكر قـوائم العـرش في سـنة المصـطفى صـلى الله عليه وسلم وهـذا العـرش كما بينا هو سـقف المخلوقـات ومنه تتفجر أنهار الجنة لقد بين الله تبارك وتعالى في غـير ما آية من كتابه أنه استوى على هذا العرش بعد خلق السـماوات والأرض (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْـتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ يُغْشِــي اللَّيْـلَ النَّهَـارَ يَطْلُبُـهُ حَثِيثـاً وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ وَالنُّجُـومَ مُسَـخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَـارَكَ اللّـهُ رَبُّ الْعَـالَمِينَ (54)) هــذه هي الوقفة الأولى وهي وقفة عقدية مع قــول الله جل وعلا: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء (7))

الوقفة الثانية مع قول الله تبارك وتعالى في ذكره في سورة هود لنبأ نبي الله نوح و نبأ نبي الله إبراهيم و نبأ نبي الله لوط عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم

أما نوح فهو شيخ الأنبياء والمرسلين وأطول أنبياء الله ورسله عمرا عمَّره الله جل وعلا كتب له العمر الطويل حتى إنه تجاوز الألف عام مكث من هذه المدة تسعمائة وخمسين عاما فقط في دعوته لقومه دعاهم ليلا ودعاهم نهارا دعاهم سرا ودعاهم جهارا دعاهم ضعفاء ودعاهم وجهاء دعاهم ترغيبا ودعاهم ترهيبا ومع ذلك كله والهداية بيد الله ما آمن معه إلا قليل كما قال الله جل وعلا: **(وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (40))** وقد قيل إن هذا القليل كانوا اثني عشر رجلا فلما خَبَرَ قومه وابتلاهم وعاشرهم جيلا بعد جيل لكثرة ما عاشه بينهم خاف على القلة الذين معه أن يضرهم طغيان الكفرة فقال دعوته الشهيرة التي حكاها الله في القرآن: **((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (26) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً (27)ـ)**فاستجاب الله جل وعلا دعوته ولكن الله قدم الاستجابة هذه الدعوة لأمور أن الله تبارك وتعالى أوحى إليه أن يصنع الفلك فأخذ يصنع سفينة بالغة المنتهى في كبرها فكان يمر عليه أولئك الأقوام من قومه فما كانوا يسألونه ما ينفعهم لم يقولوا له يوما يا نوح ما الذي يدل على الجنة ولم يقولوا له يوما يا نوح ما الذي يباعد من النار ولم يقولوا له يا نوح ألا تذكرنا بربك ولكن كما قال الله جل وعلا: **(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ)** رحم الله نوح بادلهم بالمنهج الرباني وجزاء سيئة سيئة مثلها: **(قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38)** فكان يسخر منهم وكانوا في سخريتهم يقولون: تصنع سفينة تمشي على اليبس لا يدرون ما أعده الله جل وعلا عليهم من سخط وعذاب0 (.......) بعد ذلك أخبره الله جل وعلا أن يضع له أمارات يعلم بها مقدم الطوفان **((حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)** حتى يبقي الله على الحياة في الأرض لا تنقطع

انقطاعا تاما وإنما تعود كـرة أخـرى بعد أن ترسو سـفينة نـوح على الأرض **((قُلْنَا احْمِــلْ فِيهَا مِن كُــلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَـكَ إِلاَّ مَن سَـبَقَ عَلَيْـهِ الْقَـوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (40)** وهـذه قـول الله جل وعلا ((**وَأَهْلَـكَ**)) أحــدثت التباسا عند نـبي الله نــوح سـيأتي بيانه فيما بعد فلما ركب نــوح في السـفينة وأخذ المـوج يرفعها حينا ويضـعها حينا والموج كأمثال الجبال من عظمته قال الله تبارك وتعالى عنــه: **(وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا (41))** أي جريانها وسريانها (**إِنَّ رَبِّي لَغَفُـورٌ رَّحِيمٌ**) وهي أي الفلك **((وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَـالِ))** هنا أخـذت نــوح الشفقة والأبوة الحانية على ابنه فأخذ يناديه **(وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَـــانَ فِي مَعْــــزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَـــافِرِينَ (42))** مع أن الله جل وعلا أخـــبره أنه ليس للظالمين مكان في الفلك إلا أنه أصح ما قيل في تفسـير هـذه الآية أن نوح تعارض عنده أمـران الأول أن الله جل وعلا أخـبره أن يأخذ أهله معه والثانية أن الله جل وعلا نهـــاه أن يكــون للظالمين مكان في السفينة فكأنه عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله رجح الأمر الأول فلـذلك خـاطب ابنه بما جـاء منصوصا في الكتـــاب قـــال (**يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَـافِرِينَ**) فقــال ذلك الابن (**قَــالَ سَــآوِي إِلَى جَبَــلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء**) فقال الأب العالم بشريعة الله وبما عند اللـه: (**قَالَ لاَ عَاصِـمَ الْيَـوْمَ مِنْ أَمْـرِ اللّـهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَـالَ بَيْنَهُمَا الْمَـوْجُ فَكَـانَ مِنَ الْمُغْـرَقِينَ (43))** وهنا نقــول في هــذه الآية العظيمة فائــدتين عظيمــتين ينبغي لكل مــؤمن أن يــدركها الأول أنــه من أعظم ما يمكن أن يبتلى به العبد ألا يشعر بالخطيئة ولا يشعر بالـذنب ولا يشـعر بالمعصـية فيتقلب في المعاصي والكفر وما دون ذلك مما حرمه الله والعيـاذ بالله دون أن يشـعر بـذلك كله بل إنه يعتقد أنه الرجل الأكمل والرجل الأمثل دون أن يشـعر بحـرارة الـذنب ودون أن يـدرك بالمـآل و المصـير إلى الله جل وعلا وهـذا والعيـاذ بالله ممن ضرب على قلبه الران والمصـيبة الأدهى أن الله جل وعلا ربما عاقبه وعجل له شيئا من العقوبة في الدنيا حـتى يسـترجع الأمر فيكون والعياذ بالله لا يدري أن تلك العقوبة لـذلك الـذنب

وإنما يســتمر على ما هو عليه ولا يشــعر أصلا بتلك المعصــية وهذا ما حدث من ابن نوح فإنه ظن أن الطوفان مسألة أمطـار موســمية تــأتي في حين أو مســألة مما جــرت بها ســنن الله الكونية والأمر خلاف ذلك ولـذلك قـال ذلك الشـيخ الجليل نـبي الله نوح قال لابنه: (**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْـرِ اللّـهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ**) أي المؤمنين (**وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ**) أي بين الأب وابنه (**فَكَـانَ مِنَ الْمُغْـرَقِينَ**) أي كــان ذلك الابن ممن كتب الله عليهم أن يغرقوا أي كتب الله جل وعلا عليهم الكفر البواح. ثم لما أذن الله جل وعلا أن تسـتقر تلك السـفينة قـال الله تبـارك وتعالى: (**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**) فلما اسـتقرت السـفينة على الجودي **((وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ (44)** تـذكر نـوح مـآل ابنه ففـزع إلى الله جل وعلا **(وَنَـادَى نُـوحٌ رَّبَّهُ فَقَـالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْــــدَكَ الْحَــــقُّ))** أي أنت وعــدتني أن تنجي أهلي وإن ابــني من أهلي ثم اســتدرك لأن المسألة عنده مسألة اجتهاد قال: **(وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَـاكِمِينَ (45))** وهذا استدراك منه عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم هنا أخبره الله جل وعلا بجلاء الأمر على حقيقته فقال لـه: **(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)** ثم بين لمــاذا هو ليس من أهله رغم أن الله يعلم أن ابن نوح من صلبه ولكن الله قال له إنه ليس من أهلك لأن الأخــوة ليست أخــوة النسب ولكن الأخــوة أخــوة العقيـدة قال((**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـالِحٍ**)) وفي قــراءة إنه ((**عَمِـلَ غير صالح**)) وأيا كان الأمر فالمقصود أنه كان على الكفر ومن هنا يعلم أن ما يجمع المؤمنين تباعدت أماكنهم أم تقـاربت تنـوعت جنسياتهم أم اتفقت فصل بينهم بر أم فصل بينهم بحر هو قول لا إلـه إلا الله فمن جاء بها فهو مؤمن له ما للمؤمـنين وعليه ما عليهم ومن كـان مؤمنا وجبت أخوته ثم يعامل بحسب معاصـيه لكنه لا يخــرج من أخــوة الإيمــان إلا بكفر بــواح جــاء الشــرع المطهر وليس اجتهـاد زيد ولا عمـرو ولا ظن سـيئ من زيد ولا عمرو جاء الشرع المطهر أن فعله ذلك كفر بواح قـال الله جل وعلا: (**قَـالَ يَا نُـوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِـكَ إِنَّهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِـهِ عِلْمٌ (46)**ـ وهـذا دليل على ما ذهبنا إليه من أن المسألة كانت من نوح اجتهــادا **(فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُـكَ أَن تَكُـونَ مِنَ**

وقول الله جل وعلا: **(إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)ـ)** **(إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** دليل صريح على أن الإنسان لا حرج عليه أن يؤدب بشيء من الشدة من هم تحت يده فإن الله جل وعلا أدب نوحا وهو نوح ذو المقام الأعلى والله وصفه في القرآن **((إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً (3)ـ)** أدبه بهذه الآية قال: **(إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** وقال الله جل وعلا في محمد صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الناس دينا وعلما وإيمانا قال **(عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَن جَاءهُ الْأَعْمَى (2))** وقال تبارك وتعالى: **(عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43))**

ورحم الله من قال:

قسا ليزدجروا ومن يك حازما ****فليقسو أحيانا على من يرحم

فإن القسوة والحزم أحيانا أمران مطلوبان يحتاج إليهما من أعطي ولاية الناس أو ولاية قوم تحت يده أو أراد أن يربي ابنه أو يربي أقواما آخرين من أعطي أي سلطة كانت فإن في التأديب ردع للظالم وحث على المستقيم **(إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)ـ)** ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح أن سفينته ستقر وأن الله جل وعلا سيعطيه من الخير والبركات **(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48))** هذا بإيجاز ما أورده الله جل وعلا عن نبيه شيخ الأنبياء نوح عليه الصلاة والسلام ونحن ذكرنا هاتين الفائدتين لأن القرآن ذكر الله جل وعلا أنه مثان أي يتكرر قصصه وأوامره ونواهيه تتكرر فربما عرجنا على قصة نوح في سورة أخرى فأخذنا منها أمور غير ما أخذنا هذا اليوم حتى تكون أعم فائدة وأقرب إلى الذهن والصواب والله أعلم.

ثم الوقفة الثالثة مع رسل الله وملائكته الذين حلوا أضيافا على خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام

إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أقرب الناس شبها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله جل وعلا ميز هذا النبي الكريم

بأمور عدة من أعظمها وأجلها أن الله حصر كل نبـوة بعـده في ذريته قـــال الله جل وعلا: **(وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِـــهِ النُّبُـــوَّةَ وَالْكِتَابَ)** اللهم إلا عيسى بن مـريم لأنه أصلا ليس له والد أما غير ذلك فإنه ما من نبي بعث بعد إبراهيم إلا وهو من نسل نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسـلام وإبـراهيم لما كـان مع زوجته سـارة جاءته رسل الله جل وعلا جبرائيل وميكـال وإسـرافيل وهم في طـريقهم إلى قـوم لـوط لإهلاكهم مـروا على إبـراهيم عليه السلام مروا به لأمرين :

ليبشروه بالولد وليخبروه بأنهم قدموا لهلاك قوم لوط قـال الله جل وعلا **((وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى))** وقول الله جل وعلا ((**رُسُلُنَا**)) هذه إضافة تشريف فإن الله أضـاف هؤلاء الرسل إليه تبارك وتعالى وهي إضـافة تشـريف قـال جل ذكـره)) **وَلَمَّا جَـاءتْ رُسُـلُنَا إِبْـرَاهِيمَ بِالْبُشْـرَى**)) أي البشرى بغلام **((وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُـلُنَا إِبْـرَاهِيمَ بِالْبُــشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَـالَ سَـلاَمٌ (69)ـ)** ظن إبـراهيم أول الأمر أنهم ضيوف((**فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيـذٍ**)) فقربه إليهم قياما بواجب الضيافة قرب إليهم العجل ليتناولوه وليـأكلوه أداء لحق الضيافة ومعلوم أن الكـرم من أجل الصـفات الـتي يتحلى بها العباد ولذلك قال صلى الله عليه سلم: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** وقد كانت العـرب في جـاهليتهم تعـنى بهـذه الصفة عناية عظيمة ويتنافسـون فيها ولكن لم يكن يفعلونه لله فلذلك لم ينجيهم قال صلى الله عليه وسـلم لما سـألته عائشة عن عبد الله بن جدعان وكـان رجلا مضـيافا كريما في الجاهلية **(قـالت: يا رسـول الله أينفعه عمله ذاك؟ قـال: لا يا عائشة إنه لم يقل يوما من الـــــــدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)** أي لم يكن عبدا مؤمنا فلما قربه إليهم كانوا ملائكة والملائكة فطروا على عـدم الأكل وعـدم الشـراب فلم يكن يمدوا أيديهم ليـأكلوا شـيئا ممـا قدمه إليهم فلما رآهم **((فَلَمَّا رَأَى أَيْـدِيَهُمْ لاَ تَصِــلُ إِلَيْــهِ))** أي إلى الطعــام **((نَكِـرَهُمْ))** أي شك فيهم **((وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَـةً))** هنا طمنوه **((قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُـوطٍ (70))** فلما قالوا إنا أرسلنا إلى قـوم لـوط ضـحكت امـرأة إبـراهيم فرحة وغضبا لله جل وعلا أن قوم لوط سيهلكون قـال الله جل

وعلا: **(وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ (71))** وقـول الله جل وعلا **((قَآئِمَةٌ))** هذا كان من عادات العرب أن زوجة الرجل تقـوم على رؤوس الأضــياف إمعانا في تكــريمهم فلما ســمعت من الملائكة أنهم قـدموا لهلاك قـوم لـوط ضـحكت وهـذا أظهر ما وقفت عليه في تفســير الآية أما غــير ذلك فظــاهر العلم والله تعالى أعلم أنه بعيد عن الصواب فلما ضحكت بشرها الله على لســـان ملائكته بالولد وكـــانت امـــرأة لم تلد (**فَضَـــحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71))** لم يقل الله جل وعلا فبشـرناه على إبـراهيم لأن إبـراهيم كـان قد رزق إســماعيل قبل هــذا الحــدث وكـان سن إســماعيل على الصحيح في ذلك الوقت أربعة عشر عاما فلــذلك خص الملائكة ســـارة بهــذه البشـــارة (**فَبَشَّــرْنَاهَا بِإِسْــحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**) أي أن إسحاق سينجب ولدا يسميه بعد ذلك يعقوب وهذا إمعان من الله في بشـارة تلك المـرأة فلما قـرت أعين إبراهيم بالبشارة تعجبت أولا تلك المرأة من هذه البشارة فقـالت: (**قَـالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِـدُ وَأَنَـاْ عَجُـوزٌ وَهَــذَا بَعْلِي شَيْخاً (72))** ذكـرت سـببين تمنعانها من الولد أولا أنها عجـوز وجاءت عجوز على صـيغة المـذكر لأن وزن فعـول عند العـرب يجتمع فيه المذكر والمؤنث يقال امرأة عجـوز ورجل عجـوز ولا يؤنث أبدا قالت: (**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُـوزٌ**) وكـذلك زوجي ليس رجلا شابا قالت: **(وَهَـذَا بَعْلِي شَـيْخاً إِنَّ هَــذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72))** لأنها قاسته بـالأمور الدنيوية وما جـرت به الســنن **(قَـالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْـرِ اللّــهِ رَحْمَتُ اللّــهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيـدٌ (73))** وهـذا مما فضل الله جل وعلا به إبـراهيم ولــذلك أنا وأنت وغيرنا من المؤمــنين نقــول في دعائنا اللهم بـارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبــراهيم إنك حميد مجيد الله جل وعلا سـبقت منه المباركة لآل إبــراهيم وأهل بيته (**رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيـدٌ (73))**) فلما انتهت البشــــــارة وانتهى أثرها والتعجب منها وفيها دلالة على أن فضل الله واسع وأن من ابتلي بهــذا الأمر لا يقنط من رحمة الله ولا ييـأس من فضـله فـإن الله جل وعلا بيـده مقاليد السـماوات الأرض وأمـره تبـارك وتعـالى بين الكـاف والنـون لا

يعجــزه شــيء في الأرض ولا في الســماء فلما قــال جل وعلا: **(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْـرَاهِيمَ الـرَّوْعُ (74))** أي الخـوف الـذي أصــابه أول الأمر **(يُجَادِلُنَا فِي قَــوْمِ لُــوطٍ (74))ــ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75)))** إبراهيم لما ذهب عنه ما أصــابه أول الأمر أخذ يجــادل أولئك المرســلين في قضــية إهلاك قــوم لــوط لأنه أخذته الشــفقة والحنــان عليهم لكنهم أخــبروه أنهم رسل وأنهم لا محالة مصــيبون لأمر الله جل وعلا وأن هـذا أمر الله وقـدره الـذي لا يـرد وأنه يكـون ما كـان إنما بســـبب ذنـــوبهم وما جنـــوه من معاصي **(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَـوْمِ لُـوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75))**

(**وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَـاقَ بِهِمْ ذَرْعـاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77))** انتقل الملائكة عليهم الصلاة والســلام من أرض إبــراهيم إلى أرض لــوط ومعلــوم أن لــوط هاجر من الأرض التي كان فيها إبراهيم بعد أن أذن له إلى قرية أخرى فلما جـاءوه وجـاءوه في سـورة شـباب حسـان ورأوا ما جبلهم الله عليه من حسن خـــاف عليهم من قومه لأنه خـــبر قومه وابتلاهم وعرف ما جبلــوا عليه من تلك الفاحشة البغيضة الشـهوانية الحيوانية الـتي كـانوا عليها **((وَقَـالَ هَــذَا يَـوْمٌ عَصِيبٌ))** أي يــوم قــاس شـديد أتـاني روعه وألمه **((وَقَـالَ هَـذَا يَـوْمٌ عَصِـيبٌ))** فلما علم القــوم من قومه بخــبر أولئك الضــيوف وقيل إنهم عرفــوا عن طريق امرأته وكــانت امــرأة كـافرة كما جـاء ذلك في صــريح الكتـاب **(ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَــــالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَـيْئاً وَقِيـلَ ادْخُلَا النَّارَ مَـعَ الـدَّاخِلِينَ (10))** فلما قدموا جاءوا والعياذ بالله فرحين مستبشرين يريدون أن يصــلوا إلى تلك الفاحشة البذيئة قــال الله يحكي صــنيعهم **(وَجَــاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّـيِّئَاتِ)** فــذكرهم بالله واســتنفر فيهم الشــيم ومكــارم الخلق دون أن يجدي فيهم شيئا **(قَالَ يَا قَـوْمِ هَــؤُلاء بَنَـاتِي هُنَّ أَطْهَـرُ لَكُمْ فَـاتَّقُواْ اللّـهَ وَلاَ تُخْـزُونِ فِي ضَـيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ**

رَجُـلٌ رَّشِـيدٌ (78)) ما من سـبيل يقـرع به قلبهم إلا طرقه تريـدون الـزواج هـؤلاء البنـات بنـات (...) أو بنـات القرية أنا أزوجكم وأسعى في تزويجكم إن كـان فيكم شـيم وعقل أليس منكم رجل رشيد إن كنتم تعلمون أن هناك ربا يعاقب ويثيب ألا تخافونه وتتقونه وتخشـونه لكنهم والعيـاذ بالله طبع على قلبهم الران فأخذوا وكان هذا قبل أن يفتح لهم لـوط البـاب يطرقـون الباب بشدة يريدون الدخول هنا طمأنت الملائكة لوط وأخـبروه أنهم رسل من الله **(قَـالُواْ يَا لُـوطُ إِنَّا رُسُـلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْـعٍ مِّنَ اللَّيْـلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ (81))** وقبل أن نمضي في تفسـيرها نخـبر أنهم لا زالوا يطرقون الباب حـتى خـرج لهم جبرائيل فضـربهم بطـرف جناحه قبل الهلاك فضـرب الله على أعينهم فطمست فأخـذوا ورجعوا يتحسسون الحيطان ويتوعدون رسل الرحمن ويقولـون إذا كان الصباح فلنا ولهم شأن ولكن الله رد كيدهم في نحـرهم قال الله جل وعلا **(قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِـكَ بِقِطْـعٍ مِّنَ اللَّيْـلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَـدٌ إِلاَّ امْرَأَتَـكَ إِنَّهُ مُصِـيبُهَا مَا أَصَـابَهُمْ إِنَّ مَوْعِـدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّـبْحُ بِقَـرِيبٍ (81))** وفي هـذه الآية فوائد عدة أولها عظم شناعة هذه الفاحشة التي مخالفة لفطـرة الله التي فطر الله العبـاد عليها ولأنها فيها من الغلظة والفظاعة ما هو أعظم من الزنا ولذلك قال العلماء إن أصحاب محمد صـلى الله عليه وسلم اتفقوا على قتل الفاعل والمفعـول به إن كـان على رضا ولكنهم إنما اختلفـوا في قضـية كيف يقتل وقد قـال صـلى الله عليه وسـلم: **(من رأيتمـوه يعمل عمل قـوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعـول بـه)** ويحمل قوله صـلى الله ليه وسلم والمفعـول به على من فعل به رضا ثم فيه دلالة على شـــرف الليل فـــإن الله نجا لوطا وأهله ليلا أما أولئك الأقوام فإن الله أهلكهم صباحا (**إِنَّ مَوْعِـدَهُمُ الصُّـبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَـرِيبٍ (81)**)) قيل إن الملائكة لما قـالت للـوط إن موعدهم الصبح لوط استبطأ العـذاب قـال أين نحن من الصـبح فقالت الملائكة ((**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**)) حتى تمضي سنن الله جل وعلا في الكون وهنا نقـول إن الله جل وعلا كـان يعلم أن قوم لوط على تلك الفاحشة ورسوله يعلم ولكن الله تبـارك

وتعالى أراد أن يقيم الحجة عليهم بأولئك الملائكة حـتى يكونـوا ينـادون بها على مـرأى من أعين نـبيهم حـتى لا يبقى في قلب ذلك النبي حسرة أو شفقة أو شيئا في صدره على قومه حــتى تتضح الحجة وهكـذا تبـارك وتعـالى يـؤتي من يشـاء من فضـله ويعذب من يشاء بعدله تبارك وتعالى فقط ولا يعـذب أحـدا جل وعلا بظلم منه جل وعلا عن كل ظلم وبهتـان فلما سـرى لـوط عليه الصــلاة والســلام وابنتــاه من القرية كــانت معه في أول الأمر زوجه ثم إنها التفتت لتقوم الحجة عليها وحتى لا يبقى في قلب لوط شيئا من الحـزن على زوجته وحـتى يكـون أدعى في ذهاب شـيء من صـدر ما في البنـتين على أمهما فلما أراد الله إهلاك القرية رفع جبرائيل تلك القرية جمعــاء إلى الســماء ثم قلبها ظهرا على وجه حتى سمعت الملائكة نبـاح كلابها وصـوت الديكة منها قـــــال الله جل وعلا: **(فَلَمَّا جَــــاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَــــافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَــارَةً مِّن سِـــجِّيلٍ مَّنضُودٍ (82) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ** أي معلمة **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيــدٍ (83))** وقـــول الله جل وعلا **((وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيــدٍ))** دلالة على أنه قد ينــال من صـــنع صـنيعهم يناله من الأمر ما نـال أولئك الأقـوام ولأنه مسـتوجب لســـــــخط الله جل وعلا وعقابه من آل أو فعل تلك الفاحشة والآية عموما فيها دلالة على أن المعاصي ســـبب إهلاك الأمم قـال الله جل وعلا: **(فكُلّاً أَخَـذْنَا بِذَنبِـهِ فَمِنْهُم)** فإنما يحل بـأقوام ما يحل بهم إنما بسـبب ذنـوبهم وخطايـاهم وما يكـون منهم من معاصي يحاربون الله بها تبارك وتعالى والله جل وعلا غيــور على نعمه غيــور أن تنتهك محارمه هــذا أيها المؤمنــون الوقفة مع قصة نـوح وإبـراهيم ولـوط عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما الوقفة الرابعة أو الثالثة فهي مع قـــول الله جل وعلا على لسان شعيب مع قومه: (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)

أيها المؤمنـــون الظلم أمر حرمه الله نـــزه نفسه عنه وحرمه على عباده والبخس هو النقص والناس عامة يدخل فيها الأبـرار والفجار المؤمنون والكفار وأشـياؤهم عامة تـدخل فيها الأشـياء المعنوية وتـدخل فيها الأشـياء الحسـية ولـذلك لا يحق لأحد أن يظلم أحدا أيا كان ذلك المظلوم ولو كان شخصا كـافرا ولـذلك بعض الإخوة عفا الله عنهم قد يغلب عليهم الحماس ويتعاملون مع من يخالفهم في العقيدة أو من يغلب على الظن أنهم كفـار فلا يتورعون في ظلمهم أو بخسهم حقوقهم وهذا مناف لصريح الآية قال الله جل وعلا: **(وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)** والناس كلمة عامة كما بينا كما أن النبي صلى الله عليه وسـلم ذكر لمعـاذ وهو يوصـيه لما بعثه إلى اليمن قـال له)) **واتق دعـوة المظلـوم فإنه ليس بينها وبين الله حجـاب**))

قال أهل العلم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعـاذ واتق دعـــوة المظلـــوم ولم يقيد صـــلى الله عليه وســـلم لم يقل المظلوم المؤمن وإنما أطلقها بمعـنى أنه يـدخل فيها المظلـوم المؤمن والمظلوم الكافر وبخس النـاس أشـياءهم متنـوع فمن النـاس من يبخس النـاس أشـياءهم في الكيل والمـيزان وفيه جـاءت الآية ومن النـاس من يسـيء الظن بالنـاس من يسـيء الظن بـالغير ومن بخس النـاس قد تسـأل عن عبد فلا تخـبر إلا بأسوء ما فيه وأنت تعلم أشياء كثيرة حسنة فيه وهذا قد ينتشر عند النساء خاصة فلربما سـألت امـرأة أخـرى عن فتـاة تريد أن تنكحها لأحد بنيها فتسألها عنها فيكون بينها وبينها غل أو حسد أو شـيء من ذلك فلا تخـبر إلا بأسـوء ما تعلم فتقـول لا تصلح قصيرة جدا وقد يكون في المرأة من المحاسن والجمـال ما يـــذهب عيب القصر ولكنها لا تـــذكر تلك المحاسن ولا ذلك الخلق ولا ما فيها من دين ولا ما فيها من جمـــال في وجهها أو غير ذلك تكتفي بكلمة القصر بخسا لها حقها وقد يسـأل طـالب علم عن داعية أو عن عالم لا يحبه أو لا يراه مناسبا لشيء في نفسه فيذكر أسوء ما فيه يقول هـذا يـدعو إلى كـذا أو هـذا فيه كـذا أو هـذا لا يتكلم إلا في الإيمانيـات أو هـذا لا يعـرف إلا في

الفقه أو هـذا لا يحسن إلا مسـائل الحيض والنفـاس أو هـذا لا يتكلم إلا عن الجهـاد أو هـذا أو هـذا يتخذ صـفة يظنها ذريعة لإيصـال ظن سـيء بعبـاد الله جل وعلا وقد يسـأل معلم عن مدير فلا يذكر عنه إلا أسوء ما فيه حينما يـدخل المدرسة يقفل دفـتر الـدوام وقد يكـون في المـدير صـفات عـدة حسـنة لكن لشيء في صدر المسؤول لا يقول إلا أسـوأ ما علم ولا ريب أن هذا ينبئ عن دسيسة وخبيئة غير سليمة وغير صحيحة إن محبة المـؤمن لإخوانه المؤمـنين وحسن الظن بهم أمر جـاءت به الشرائع وأمر دعت إليه مكارم الأخلاق وأمر فطر الله العباد أو العبـاد الخلص عليه وإن حسن الظن بـالمؤمنين أمر عظيم كما أن إسـاءة المـرء ظنه بنفسه أمر مـوجب وموصل إلى مـراتب الكمـال وبخس النـاس أشـياءهم كما بينا أمر نهى الله تبـارك وتعـالى عنه وحـذر منه كما في صـريح الآية **(وَلاَ تَبْخَسُـواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)** والظلم أيا كانت صفته وأيا كـان أمـره أمر حرمه الله جل وعلا ووعد الله عليه الوعيد الشـديد ولا ريب أن أعظم الظلم أن يجعل العبد لله ندا وهو خلقه سـئل صـلى الله عليه وسـلم أي الـذنب أعظم قـال: **(أن تجعل لله ندا وهو خلقك).**

أما الوقفة الخامسة أيها المؤمنـون فمع قـول الله تبارك وتعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا)

الآية صدرت بفعل أمر موجه أصلا لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم والخطاب شامل لعمـوم الأمة قـال الله جل وعلا لنبيـه: **(فَاسْـتَقِمْ كَمَا أُمِـرْتَ وَمَن تَـابَ مَعَـكَ (112))** إن الاستقامة ترك المعهودات ومخالفة الرسوم والعادات وهي أمر عظيم يوفق الله جل وعلا إليه من شـاء من عبـاده وعد الله تبارك وتعالى عليها الحسنى ووعد الله جل وعلا عليها البشـارة عند الاحتضـار **(إِنَّ الَّذِينَ قَـالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَـدُونَ (30)) (نَحْنُ)** هـذا قـول الملائكة لهم **(نَحْنُ أَوْلِيَـاؤُكُمْ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي**

الْآخِـرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْـتَهِي أَنفُسُـكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَـدَّعُونَ (31) نُـزُلاً مِّنْ غَفُـورٍ رَّحِيمٍ (32)) فهـذا مجمل بشـارات الملائكة عند سـاعة الاحتضـار لـذلك العبد الـذي كـان مســتقيما والاســتقامة تتطلب أمــورا ثلاث اســتقامة القلب واسـتقامة اللسـان واسـتقامة الجـوارح فأما اسـتقامة القلب فاسـتقامته على التوحيد وإفـراد الله تبـارك وتعـالى بالعبـادة وحـده واللجـوء إليه في الضـراء وشـكره تبـارك وتعـالى في السراء والعلم يقينا أنه وحده تبـارك وتعـالى بيـده الأمر والنهي وبيده تبارك وتعـالى الضر والنفع وأنه ما من عبد كائنا من كـان عظمت سـلطته أو حقـرت كـبرت سـلطته أو صـغرت لا يملك لأحد لا لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولكنها أسـباب ومسـببات والأمر أولا وأخـيرا بيد الله تبـارك وتعـالى وحـده له الخلق وله الأمر تبــارك الله رب العــالمين فهــذه اســتقامة القلب أما استقامة اللسان فاستقامته تتطلب أمورا عـدة أولا أن يسـتقيم على ذكر الله جل وعلا واللهج بـذكره سـبحانه وتعـالى وشـكره وقراءة كتابه وعدم الخوض فيما حرمه تبـارك وتعـالى من غيبة المؤمــنين والســعي بينهم في النميمة والســعي في النيل من أعراضــهم وما إلى ذلك من الأمــور الــتي حرمها الله جل وعلا ويكــون مخرجها اللســان وقد جـاء في الأثر أن العبد يـؤتى به يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تبارك وتعـالى فيقـول يا ربي لا أريد شــاهدا إلا من نفسي فيختم الله جل وعلا على لســانه فتنطق جوارحه فتقول كل جارحة فيه تخــبر بما صـنعت تقـول العين أنا إلى الحــرام نظــرت وتقــول الأذن أنا إلى الحــرام استمعت وتقول اليد أنا إلى الحـرام تنـاولت وتقـول القـدم وأنا إلى الحـرام مشـيت حـتى يقـول الفـرج عيـاذا بالله وأنا فعلت وفعلت عندها يقول الـمَلَك الذي على اليسار الموكل إليه كتابة السـيئات يقــول أنا واطلعت وكتبت فيقــول الملك الــذي على اليمين وأنا اطلعت وشــــهدت فيقــــول أرحم الــــرحمين ورب العــالمين وأنا اطلعت وســترت ثم يقــول للملائكة يا ملائكــتي خذوه ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حيــاؤه مني أما استقامة الجوارح فـإن اللسـان والجـوارح من بيئة عما يضمره العبد في قلبه لذلك كـان عثمـان رضي الله عنه يقـول: ما خبأ أحد خبيئة ولا أسر أحد سـريرة غـير سـليمة إلا وأخرجها

الله على فلتات لسانه تظهر والعياذ بالله على فلتات اللسان يحاول أن يداريها يوما أو بعض يوم شهرا أو سنة لكن لا بد أن تخرج منه كلمة تنبئ عن تلك السرائر ولذلك قال جل وعلا لنبيه عن حال المنافقين قال: **(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ)** أي أنهم مهما بلغوا وكتموا وأظهروا لك الإيمان وأخبروا النفاق إلا أنه سيخرج من فلتات لسانهم ما يدلك على أنهم قوم منافقون ورحم الله القائل :

كل امرئ صائر يوما لشيمته * وإن تخلق أخلاقا إلى حين**

فإن ثوب العارية لا يكسي ومن تزين بما ليس فيه وأظهر للناس ما ليس من سرائره لا بد أن يفضح ولا بد أن يعرف فلذلك يبدأ الإنسان أولا بإصلاح السرائر ثم بعد ذلك ينتج عنه إصلاح الظواهر ويوم القيامة إنما الأمر مرده إلى السرائر قال الله جل وعلا: **(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9))** لإنه عليها المحاسبة وكم ممن يعمل عملا يظهره إلى الناس ليس له عند الله تبارك وتعالى قدر ولا يزن عند الله جل وعلا جناح بعوضة لسوء سريرته أعاذنا الله وإياكم من ذلك كله. والاستقامة وإن كانت أمرا منشودا إلا أنه ثق يا أخي لن يبلغ أحد منتهاها ولذلك قال الله جل وعلا في سورة فصلت: **(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)** قال العلماء: عطف الله بالاستغفار على الاستقامة حتى يُجبر النقص لأنه تبارك وتعالى يعلم أنه لا يمكن لأحد أن يسلم في حياته كلها من كل ذنب لا بد من هنة لا بد من لمم لا بد من نقص على هذا جبل العباد ولكن العبد المؤمن الحصيف العاقل من يواري هذا ويداريه ويمحوه بذكر الاستغفار واللجوء إلى الله جل وعلا والتوبة إليه ولذلك قال تبارك وتعالى: **(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)** وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما: **(سددوا وقاربوا)** وقال صلى الله عليه وسلم: **(فاستقيموا ولن تطيقوا)** ولكن الإنسان يسدد ويقارب ويحاول أن يبلغ درجات الكمال ويسعى إلى الكمال وهو عزيز ولكنه يسعى له بأن يجبر نقصه بالتوبة والاستغفار وبصحبة الصالحين وبما يعينه على أن يكون عبدا مستقيما.

ولذلك من أعظم أسـباب الانتكاسة أن بعض العبـاد إذا منَّ الله جل وعلا عليه بالهداية ومضى فيها دهـــرا من الـــزمن ثم غلبه الشــيطان حينا وهم بمعصــية وفعلها وكـانت منه وانتهى أمرها يقول ما أنا خـائف منه وقعت فيه إذاً بما أنـني أسـأت فسـأعود إلى ما كنت عليه وهـذا مـدخل شـيطاني رهيب فيـترك ما كـان عليه من عمل صــالح ويلجأ إلى ما كـان عليه والعيـاذ بالله من فجـور وعصـيان فيبطل عمل نفسه بنفسه والمـؤمن الحصـيف العاقل إذا داهمه شيء من ذلك وكان منه أمر من هـذا لجأ إلى الله جل وعلا واستغفره ومن ذا الذي ما ساء قط ولماذا كـانت التوبة أصلا ولما كــان الاســتغفار أصلا إن كــان هنــاك عبــاد لا يفسدون وإن كـان هنـاك عبـاد لا يجـترحون المعاصي ولا يـأتي منهم ذنب والله جل وعلا يقــول: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَــابَ الَّذِينَ اصْــــطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)** ثم قــــال عنهم: **(فَمِنْهُمْ ظَــــالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِـدٌ وَمِنْهُمْ سَـابِقٌ بِـالْخَيْرَاتِ بِـإِذْنِ اللَّهِ (32))** مع أن الله نعتهم في الأول بـــأنهم اصـــــطفاهم فالمعصـية لا أظن أن يسـلم منها أحد بل لا أقـول لا أظن على يقين تام لا يسلم منها أحد حتى الأنبياء والمرسلين أصح أقـوال أهل العلم والله تعالى أعلم أنهم غير منزهين عن الصغائر قـال الله جل وعلا في حق أبينا الأكرم آدم عليه السلام قال جل الله وعلا: **(وَعَصَـى آدَمُ رَبَّهُ فَغَـوَى (121)** لكنه تـاب إلى الله قـال الله جل وعلا: **(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَـابَ عَلَيْـهِ وَهَـدَى (122))** فإن كانت منك المعصية أيها الأخ المؤمن فاعلم أن الحل واحد لا ثاني غيره أن تتـوب إلى الله جل وعلا وتسـتغفره قـال الله تبـارك وتعـالى: **(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِشَـةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِـذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِـرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُـواْ وَهُمْ يَعْلَمُــونَ (135))** فالاســتغفار أمر مطلــوب ولا غــنى للعبد المستقيم على شرع الله جل وعلا منه.

الوقفة السادسة مع قول الله تبارك وتعالى: (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114))

ورد في سبب نزول هذه الآية كما أخرج البخاري وأحمد ومسلم رحمة الله على الأئمة أجمعين وغيرهم بألفاظ متفاوتة ومتقاربة أن رجلا قبَّل امرأة قابلها في بستان وجاء في بعض الروايات أن رجلا قدم إلى النبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها ما يفعل الرجل بزوجه قبلتها ولزمتها إلا أنني لم أجامعها فاصنع فيّ أمر الله أو الرواية قريبة من هذا المعنى فسكت عنه صلى الله عليه وسلم فورد أن عمر قال: عبد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ثم إنه صلى فريضة مع النبي صلى الله عليه وسلم غالب الظن عندي أنها صلاة العصر فناداه صلى الله عليه وسلم قال أين السائل بعد الصلاة فلما قدم **قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: أصليت العصر معنا قال: نعم يا رسول الله قال: اذهب فقد غفر الله لك خطيئتك ثم تلا عليه الآية** **(وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (114))**فقال الصحابة: يا رسول الله أله خاصة أم للناس كلهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: **بل للناس كافة**.

هذا الحديث بما أنه مرتبط الآية قف معه أيها المؤمن تجد فيه فوائد عظيمة أولها سعة رحمة الله جل وعلا ولو أن الرحمة وكلت لي وإليك لضننا بها قال الله جل وعلا: **(قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً (100))** فالحمد لله أن الرحمة من عنده وسبحان من وسعت رحمته كل شيء ثم يا أخي انظر كيف عالج النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف عليه الصلاة والسلام لما أخبره الرجل بصنيعته وأنه قابل امرأة في بستان وحصل ما حصل لم يجلس على كرسي ولم يلق محاضرة يخبر فيها بوجود منكرات ولم يأمر أبا بكر أوعمر أو غيرهما بأن يذهبا ويداهما ذلك البستان ولم يسأل الرجل أصلا عن تلك المرأة لا من هي ولا من أبوها ولا كيف قابلتها وهل كان عن رضاً أو كان عن قوة لم يسأله عنها تماما ولم يلق

للناس أنه يوجد بستان يجتمع فيه منكرات وقد يقــول قائل إنك أي بهــذا القــول تضــيع فريضة عظيمة وهي الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر إننا نقول ببساطة وبذهن إن شاء الله صريح واضح للدين إن الأمور واحد من اثنين إما عبد جــاهر بالمعاصي حتى تعـدت معاصـيه ذاته إلى غـيره فأخذ النـاس ينظـرون إليه فأخل بشرائع الله وعطل مظـاهر الـدين فهـذا ينصح أولا ثم إن لم ينصح يوكل أمــره إلى الســلطان ومن يمثل الســلطان في هـــذا الأمر هو هيئة الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر الأمر الثاني شيء تلاحظه أنت بنفسك لنفرض أنك دخلت يوما إحدى المستشـفيات فوجــدت ممرضة تــداعب أحد المرضى بكلام لا يليق فليس من المعقـــول أن تمشي في كل مجلس وتحـــدث بهذا الخبر أو تكون رجلا ممن أتاك الله الصدارة للنـاس فتقـول هـــذا في محاضرة أو في درس لأنك إن قلت هـــذا الـــذين ســـيجتمعون لك واحد من اثـــنين إما أبـــرار فقد كتبت عليهم الحسرة لكثرة ما يشاهدون ويسمعون وإما فجار فتجـدهم غـدا أو بعد غد مرابطون في ذلك المستشفى يحاولون أن ينالوا من تلك الممرضة ما أخبرتهم عنه ولكن الحل الأمثل أن تذهب إلى مســـؤول أو تبعث غـــيرك يكـــون له علاقة بالمســـؤولين في المستشفى فتخبرهم بطريق مباشر أو غير مباشر بـالأمر حـتى يتم علاجه إن كثـيرا من الأمـور إخراجها للنـاس لا يسـاهم في حلها وإنما يكون سببا في نشرها ولذلك قــال الله جل وعلا في ســورة النســاء: **(لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْـتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ)** أي لو ردوه إلى الله والرسول وما تركوه للناس يعني عـبرة ليس من حق الناس أجمعين أن يعلموا كل شـيء فـإن النـبي صـلى الله عليه وســلم الجيل الــذي كــان بين يديه أعظم جيل على وجه الأرض جيل الصحابة ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يواري في غزواته لا يخبرهم أين مقر الغزوة إلا اللهم في غزوة تبــوك لطول المشقة أخبر الصحابة بالمكان الـذي يتوجه إليه أما غـير ذلك لم يكن صـلى الله عليه وسـلم يخـبر الصـحابة بـأين يتوجه وذلك لحكم نبوية لا تخفى على أحد وكـذلك هـذه الأمـور ليس من الســلامة أن تخــبر النــاس بكل شــيء تــراه في المجتمع المؤمن لأنك بذلك تثبط الهمم وتـوهن العـزائم وتجعـل الأبـرار والمؤمنين الأخيار ييأسون من المجتمع لو أن كل امرأة أخـبرت

بما تراه وكل رجل أخبر بما يراه ويسمع لظن النـاس بأنفسـهم شرا ولطغى على الناس الهلاك وقد قال صلى الله عليه وسلم **من قال عن المؤمـنين أنهم هلكـوا فهو أهلكهم ولها روايتــان فهو أهلكهم أي ســببا في إهلاكهم أو فهو أهلكُهم أي أشــدهم هلاكا** ولكن الأمــور تعــالج بالحكمة وبالتـأني وما لا يكـون اليـوم يكـون بعد غد وما لم يكن بعد غد يكـون بعد سـنة علام العجلـة؟ إن الصـراع بين الحق والباطل صراع أزلي من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة والنبي صلى الله وعليه وسـلم وهو أعظم المصـلحين في الأرض وفي السـماء عليه الصلاة والسلام مات وهناك أنـاس مؤمنـون وهنـاك أنـاس كفـار فـإن لم يتم الأمر على يد النـبي صـلى الله وعليه وسـلم أتراه يتم على يدي أنا أو على يـدك أنت وكلانا من الضـعف بما هو معلوم ولا يعني هذا أن نثبط المؤمنين ونمنع الدروس ونمنع المحاضــرات ونقــول للنــاس لا داعي للوعظ والإرشــاد ولكن الوعظ والإرشــاد والنصح والإصــلاح وفق ما جــاء به الشــرع المطهر ووفق ما أمر الله به ووفق ما أمر به رسوله صلى الله عليه وسـلم ورب كلمة أجلت قولها كــان فيها من النفع أعظم من الأول نـبي الله جل وعلا يوسف دخل عليه إخوته فقـالوا له وهو على كرسي الـوزارة قـالوا له إن يسـرق فقد سـرق أخ له من قبل جاهروه بالسـرقة وهو على كرسي الـوزارة وهم قـوم غرباء كان بإمكانه أن يبطش بهم كان بإمكانه أن يسجنهم كـان بإمكانه أن يخبرهم من هو لكنه عليه الصلاة والسـلام بما أوتي من حكمة سكت قـال الله جل وعلا: **(فَأَسَرَّهَا يُوسُـفُ فِي نَفْسِـهِ وَلَمْ يُبْـدِهَا لَهُمْ))** والـذي أسـره يوسف في نفسه قاله الله في القرآن: **(قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِــفُونَ (77)))** حــتى هــذه وهي حق لم يقلها يوسف لهم قالها يوسف في نفسه لكنه لما أجل هــذا القــول دهــرا من الزمن قال لهم بعد ذلك بعـزة المـؤمن الحكيم العاقـل: **(قَالَ أَنَاْ يُوسُـفُ وَهَــذَا أَخِي قَـدْ مَنَّ اللّـهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90))** وكــذلك المؤمن الحكيم نسأل الله أن يبصرنا وإياكم بدينه ثم نقول وإن كنا ذهبنا بعيدا عن الموضوع لكن نسأل الله أن يعفو عن الزلل **(وَأَقِمِ الصَّـلاَةَ طَـرَفَيِ النَّهَـارِ وَزُلَفـاً مِّنَ اللَّيْـلِ إِنَّ**

الْحَسَــنَاتِ يُــذْهِبْنَ السَّــيِّئَاتِ (114))الله جل وعلا جعل الحسـنة بعشر أمثالها ويضـاعف الله لمن يشـاء وجعل السـيئة بواحدة لا تضاعف أبدا لا في مكة ولا في غيرها والمشـهور عند الناس أن مكة تضاعف فيها السـيئات وهو خطأ وإن نسب هـذا القول إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما لأن اجتهاد ذلك الصحابي لا يمكن أن يقاوم آية صـريحة محكمة قــال الله جل وعلا: **(وَجَــزَاء سَــيِّئَةٍ سَــيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)** ولكن السـيئات في مكة تضـاعف كيفية ولا تضـاعف كمية فـأقول إن الله جعل الحسـنة بعشـرة والسـيئة بواحـدة فلـذلك قـال ابن مسعود: (ويل لمن غلبت آحاده عشـراته) أي من غلبت سـيئاته حسناته والله جل وعلا لما علم أن العبـاد لا يسـلمون من الأذى من ارتكــاب الســيئات شــرع لهم الحســنات الــتي تكفر بها السـيئات والله جل وعلا وإن خص الصـلاة في هـذه الآية إلا أن هنـاك أمـورا جليلة كثـيرة تمحى بها السـيئات (**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ**) حث الله على الصلاة لأنها من أعظم ما تكفر به السيئات ولأنها العبادة العظمى ولأنها من أعظم وســائل القــرب إلى الله جل وعلا وبخاصة في جــوف الليل الآخر سئل عليه الصلاة صلى الله عليه وسـلم أي الصـلاة أفضل بعد الصـلاة المكتوبة **قال: صـلاة الرجل في جـوف الليل الآخر** فــأكثروا منها عل الله جل وعلا أن يكفر لكم بها السيئات وعلماء أهل السنة حصـروا الأمـور الـتي يكفر الله بها السيئات في ثلاثة عشر موضعا قد يكون من الإطالة ذكرها لكنا نذكر بعضها أولها أن يفعل الإنسان حسنة بعينها وفي هذا الباب تدخل الصلوات، ويدخل ذكر الله جل وعلا قـال صـلى الله عليه وسـلم كما في الصـحيحين: **(من قـال سـبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكـــــــبر ثلاثا وثلاثين ثم قـال تمـام المائة لا إلـه إلا الله وحـده لا شـــريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شـــيء قدير غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)**،

كذلك الصدقة تكفر بها السيئات قال صلى الله عليه وسلم كما في حـديث معـاذ: **(والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)،**

كما أن مما يكفر الله به السـيئات دعـوة العبد المـؤمن لأخيه قال الله جل وعلا سواء كان المدعو له حيا أو ميتا قال الله جل وعلا عن الصـالحين: (**يقولـون رَبَّنَا اغْفِـرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـانِ**) فلو لم يكن في دعـائهم لإخـوانهم نفع ولا فائدة لما أثنى الله عليهم به في القرآن الكـريم، كـذلك الصدقة الجارية للعبد الذي سبق عليه الكتاب ومات،

شفاعته صلى الله عليه وسلم يـوم القيامة، مغفـرة الله تبـارك وتعالى ورحمته من غير شيء من العبد وفضل الله الواسع كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد: **قـال يا رب إئـذن لي فيمن قـال لا إلـه إلا الله قـال وعـزتي وجلالي لأخرجن منها من قال لا إلـه إلا الله**

ومن ذا الـذي يمنع فضل الله ورحمتـه، التوبة (**إِلَّا مَن تَـابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَـدِّلُ اللَّهُ سَـيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ (70)**)،

الاستغفار وقد قلنا الآية السالفة (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَـرُواْ اللّـهَ فَاسْـتَغْفَرُواْ لِـذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ (135)**) فهـذا بعض مما يكفر به الله جل وعلا السيئات ويمحو الله تبـارك وتعـالى به الخطايا (**وَأَقِمِ الصَّـلاَةَ طَـرَفَيِ النَّهَـارِ وَزُلَفـاً مِّنَ اللَّيْـلِ إِنَّ الْحَسَـنَاتِ يُـذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ ذَلِـكَ ذِكْـرَى لِلـذَّاكِرِينَ (114)) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)**

الوقفة الأخـيرة أيها المؤمنـون مع قـول اللـه تبـارك وتعالى: (**وَلِلّـهِ غَيْبُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْـهِ يُرْجَـعُ الأَمْـرُ كُلُّهُ فَاعْبُـدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْـهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِـلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)**)

النـاس جبلـوا على الإيمـان بالأشـياء المحسوسة الـتي يرونها بالعين أما الأمور الغيبية فإن كثيرا من الناس تقبل أنفسهم عن الإيمان بها ولذلك جعل الله جل وعلا أول صفات المتقين الذين أثنى عليهم في أول سور القـرآن بعد السـبع المثـاني وفي أول آياتها هو الإيمـان بـالغيب قـال الله جل وعلا مصـدرا سـورة البقرة: (**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)**) من هم يا ربنا (**الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِـالْغَيْبِ وَيُقِيمُـونَ**

الصَّــلاةَ (3)) فجعل الله جل وعلا الإيمـــان بـــالغيب أعظم صــفات المتقين والله تبــارك وتعــالى يعلم الغيب كله ولــذلك أسنده لنفسه (**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**)

والغيب لغة ضد الشـهادة أي ضد الأمر الـذي تشـهده بعينك أو يشهده معك غيرك ومن الأمور الغيبية الـتي طولبنا بالإيمـان بها أو هي من الأيمان الإيمان بالله فنحن لم نر ربنا ومع ذلك نؤمن به جل وعلا ونعتمد عليه ونتوكل عليه والملائكة الكرام والإيمان بالجنة والإيمـان بالنـار وبمن سـلف من النبـيين وبعـذاب القـبر وبنعيم القبر وكل ما أخـبر عنه ربنا جل وعلا وما أخـبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم فإن تلك كلها أمور غيبية يجب الإيمان بها والله جل وعلا أحـــاط علمه بكل شـــيء يعلم الغيب كما يعلم الشهادة بل إن مفاتح الغيب الخمسة عنده تبارك وتعالى عنــده علمها قال الله جل وعلا: (**وَعِنـدَهُ مَفَـاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـــاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَـابٍ مُّبِينٍ (59))** وقد بين صـلى الله عليه وسلم فالقرآن يفسر بعضه بعضا بين عليه الصلاة والسـلام كما في مسند أحمد أنه قـال عليه الصـلاة والسـلام في حـديث ابن عمـــر: **مفــــاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا خــواتيم ســورة لقمــان** (**إِنَّ اللَّهَ عِنـدَهُ عِلْمُ السَّـاعَةِ وَيُنَـزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَـامِ وَمَا تَـدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِـبُ غَـداً وَمَا تَـدْرِي نَفْسٌ بِـأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ (34))** فهـذه الخمس هي مفـاتح الغيب الـتي لا يعلمهن إلا الله جل وعلا ولعلنا في وقفاتنا مع سورة لقمان سـنعرج على هـذه الآية بالتفصيل إن شاء الله تبارك وتعالى وبحمده ثم نقول قال الله جل وعلا تمام الآية: (**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**) والتوكل من أعظم خصـال المؤمـنين ومن أعظم صـفات المتقين وهو الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله جل وعلا والعلم واليقين أن الله جل وعلا بيده الأمر كله أما ترك الأسباب والتفريط فيها ثم بعد ذلك القـول بـأنني تـوكلت فإنه أمر جبل عليه أئمة الضـلال من أهل الفـــــــــرق الباطنية وإن الله جل وعلا ذكر نبيا كريما هو موسى عليه السلام لما ذهب يستسقي العلم من الخضر أخــبر الله جل وعلا أنه أخذ معه مكتل وأخذ معه زادا فيه حـوت ونبينا

صــلى الله عليه وســلم كــان يلبس اللامة في الحــرب وهو بلا ريب ولا شك عليه الصلاة والسلام إمـام المتـوكلين وأعظم من توكل على الله جل وعلا وما زال الصــالحون والأخيــار يأخــذون بالأسباب وهم مع ذلك في قلــوبهم متـوكلين على الله جل وعلا يعلمون أنهم لن يصيبهم إلا ما كتب الله جل وعلا لهم.
ختاما أيها المؤمنون نسأل الله أن ينفع بهذه الوقفات وأن يزدنا وإياكم هدى وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا ما علمنا.